وحدة الساحات
قراءة في المفهوم والمتطلبات

كثر الحديث بعد معركة "سيف القدس" التي خاضتها فصائل المقاومة الفلسطينية عام ٢٠٢١ في مواجهة آلة العدو العسكرية ، انتصاراً للقدس والأقصى ؛ حيث قصفت فيها المقاومة وعلى مدار عشرة أيام العمق الفلسطيني المحتل بمئات الصواريخ ، غير موفرة ـ الفصائل ـ حزام مغتصبات غلاف غزة من نصيبها في رشقات نار المدفعية ؛ المباشرة منها والقوسية . كما أن الحركات المعادية لهذا الكيان ، والتي ترى فيه مغتصباً محتلاً لفلسطين ، والممتدة ـ الحركات ـ على طول دول الطوق الفلسطيني وعرضه القريبة من أرضنا المحتلة ، أو تلك التي تأتي في الدائرة الثانية من دوائر التهديد المُعرّفة لدى العدو ؛ كل تلك الحركات من " حزب الله " في لبنان ، مروراً بفصائل الحشد الشعبي والعشائري في العراق ، وانتهاءً بحركة "أنصار الله" في اليمن ؛ كلها تحدثت عن أنها جاهزة للمشاركة في أي جهد تطلبه المقاومة الفلسطينية ؛ بغض النظر أكان هذا الجهد عسكرياً تعبوياً مباشراً ، أو معنوياً داعماً بكل وسائل الدعم المعنوي ، بل أكثر من ذلك ، فقد وصلت طلائع الحشد العشائري والشعبي العراقي إلى مشارف الحدود الأردنية طالبة من سلطاتها الحاكمة أن تفتح لها الحدود وتخلي بينها وبين هذا العدو ، ليؤدوا قسطهم في هذه المعركة التي لم تطُل لأكثر من عشرة أيام ، وهنا لا بد من التذكير بأن كثيراً من فصائل العمل السياسي الممتدة في عالمنا العربي والإسلامي هي أيضاً قد أدلت بدلائها ، وكل حسب قدرته وإمكانياته في تأييد المقاومين في فلسطين ؛ كل فلسطين . بعد هذه المعركة ، وذاك الحراك ، بدأنا نسمع مصطلح "وحدة الساحات " و " تقاطع نار " المقاومين في سماء فلسطين ، الأمر الذي جعل العدو المحتل في هذا الكيان المؤقت يشعل أضواء الإنذار ، ويقرع أجراس الخطر ، من أن هذا الأمر ـ وحدة الساحات ـ إن تحقق فعلاً ؛ فإنه سوف يواجه معضلة وجوديةً ، وتهديداً ذا مصداقية على أصل وجوده وبقاء كيانه المؤقت ، مما رتب ويرتب على قوى المقاومة في داخل فلسطين ، وتلك التي تؤيدها وتشاركها زاوية النظر إلى هذا العدو ، يرتب عليها مسؤولية تحويل هذه الفكرة ـ وحدة الساحات ـ النظرية إلى إجراءات عملية وخطط تنفيذية ، يُتطلب قبلها التفاهم على مجموعة من المتطلبات والإجراءات التي يأتي في مقدمتها توحيد الفهم حول هذا المصطلح وما يترتب عليه من اشتقاقات ، كون الحكم على الشيء فرعٌ من تصوره ، الأمر الذي **ستناقشه هذه الورقة بدءاً من تعريف المفهوم ، ثم عرض أهم متطلبات تحويله من فكرة إلى إجراء ، وانتهاء ببعض التوصيات التي تخدم في هذا السياق** ، علّنا بذلك نقدم فكرة تنفع في مكان ما ، أو نشعل شمعة تبدد ظلمة الاحتلال وتسارع في دفعه إلى الزوال.

في تعريف المفهوم :

وحيث أن الحكم على الشيء فرعٌ من تصوره ؛ لذلك فإن قراءة المفهوم بشكل نظري يشي ويشير إلى أن القصد منه أن هناك مجموعة من ساحات العمل ، تضم مجموعة من الفاعلين الذين تتقاطع مصالحهم وأهدافهم على العداء لعدو واحد ، وأن الإضرار به ، ومنعه من تحقيق أهدافه ، وإضعافه مادياً ومعنوياً ، كلها أمور تصب في المصالح الكلية ـ الدنيوية والأخروية ـ لهؤلاء الفاعلين ،الأمر الذي يتطلب منهم جميعاً أن (يتوحدوا) في مواجهة هذا العدو وضربه واستهداف مصالحه ، في معركة لكل منهم فيها نصيب . هذا هو التفسير الكلي لهذا **المفهوم الاستراتيجي**، دون أن نغرق في تعريف المصطلحات ، وسوق الدواعي والمبررات .

فإذا كان هذا التعريف صحيحاً في كله ؛ أو صائباً في بعضه ؛ فإننا نعتقد أنه سيبقى حبيس العقول ، ومن باب الرغائب والتمنيات ، مالم يتم تأمين مجموعة من المتطلبات التي تنقله من عالم العقول إلى حقل المعقول ، ومن أهم هذه الضروريات ما يأتي :

١. **توحيد الفهم حول أصل المفهوم وما ينبني عليه :**

إن أول متطلب من متطلبات إخراج هذا المصطلح إلى حيز الوجود كإجراءات وخطط عمل هو ؛ التفاهم على معنى أو معاني هذا المفهوم ، وما ينبني عليه من إجراءات والتزامات ، يجب على كل القوى التي ترى أنها تناصب هذا المحتل العداء ، وأن في زواله تحقيقاً لأهدافها ، ودرباً موصلاً إلى غاياتها ، يجب على هذه القوى أن تتفق على فهم واحد لهذا المصطلح ، أو على قاسم مشترك يشتركون فيه فيما يخص هذا المفهوم ، فهل هم متفقون الرأي على أن "وحدة الساحات" تعني أن ما يمس فلسطين من ضرر ونصب يمسهم كلهم حيث هم في ساحات إقاماتهم ، القريبة منها والبعيد ؟ وهل أن فصائل المقاومة في فلسطين ؛ كل فلسطين تبادل تلك الفصائل نفس هذا الفهم ؟ مما يعني أن أي ضرر يلحق بتلك الفصائل في بلادها وساحاتها يعني أن ضرراً أصابها ـ الفصائل الفلسطينية ـ وعليها أن تهب لنجدتها وتحامي عنها ؟ هل أن أي تهديد من أي جهة كانت خارجية أو داخلية يهدد من هم في فلسطين من حركات ومقاومين يعني أنه تهديدٌ وخطرٌ يحيق بتلك التي خارجها ؟ وعليه يجب أن تشارك في كبحه ؟ وهل العكس ـ أي خطر من أية جهة ضد من هم في الخارج يعني تهديداً لمن هم في فلسطين ـ صحيحٌ أيضاً ؟ ما هي الحدود الجغرافية والموضوعية التي يشملها هذا المصطلح ؟ هل تنطبق مقولة "**عدو صديقي عدوي ، وصديق صديقي صديقي** " على مكونات من ينادون بوحدة الساحات ؟ لذلك نقول أنه ما لم يتم التفاهم على هذه المفاهيم والمستتبعات ، والتوافق عليها ، فإننا سنجد أنفسنا أمام حالة من التخبط والانكار لاختلاف المعيار ، هذه بعض الأسئلة المفصلية التي يجب الإجابة عليها ، عند الحديث عن " وحدة الساحات " ، ليبنى على الشيء مقتضاه .

٢. **التفاهم على شكل وخصائص البيئة الاستراتيجية المطلوب توفرها لتحقق هذا المفهوم :**

ثم إن من متطلبات عملية التحويل تلك ـ من مفهوم إلى إجراءات وخطط ـ التوافق على شكل وطبيعة البيئة الاستراتيجية ـ المحلية والإقليمية والدولية ـ التي يجب توفرها من أجل تحقيق عملية التحول تلك بنجاح ، فبقاء البيئة الاستراتيجية الحالية في بعديها الإقليمي والدولي على ما هي عليه ؛ أمرٌ يحيل الأمر ـ التحويل ـ إلى ضرب من المستحيل ، فالعدو يتمتع بشبكة علاقات

ـ حبل الناس ـ إقليمية ودولية تؤمن له مظلة أمان يستطيع من خلالها تجييش المنطقة والعالم في وجه حركات المقاومة بمختلف تصانيفها وجغرافياتها ، لذلك فخوض معركة تتوحد فيها الساحات ضد هذا المحتل الغاصب تتطلب خوض معركة على وعي شعوب وحكومات المنطقة والعالم ، تُنقض فيها رواية هذا العدو وسرديته ، وتُقدم فيها رواية المقاومة على أنها هي الحقيقة وما دونها سراب وأوهام . يجب وضع خطط عمل تنقلنا من بيئة استراتيجية ـ إقليمية ودولية ـ تعادي حركات المقاومة وتناصبها العداء ، إلى بيئة نكسب ودها ، أو على الأقل تقف على الحياد بيننا وبين هذا العدو المحتل الصائل ، فإن يتم ذلك ـ كسب الود أو الوقف على الحياد ـ فلا أقل من زرع الشك في رواية عدونا وسرديته ، فالمعارك تخاض أولاً في العقول وعلى الوعي ، ثم في ميدان القتال والنزال .

٣. **التفاهم على الأهداف الاستراتيجية المطلوب تحقيقها** :

يلي ذلك ؛ التفاهم على الأهداف الاستراتيجية المطلوب تحقيقها في سياق معركة " وحدة الساحات " ، فبعضنا يريد أن يلقي هذا العدو في البحر ! والبعض الآخر يريد أن يؤمن له ممرات عبور إلى المطارات والموانئ ليغادر أرضنا المحتلة حاملاً معه ما خف وزنه وغلا ثمنه ! وهناك من يتحدث أن معركة وحدة الساحات يجب أن لا تتجاوز أهدافها دحر المحتل عن الضفة الغربية ، وفك الحصار عن قطاع غزة ، ثم يخلق الله ما لا تعلمون ! هل هذا متفق عليه عند الجميع ؟ ماذا نقول لمن يقول : أن هذه معركة حاسمة لا تخاض غمارها ضمن مرحلة واحدة ، وإنما يجب مرحلتها على مراحل وتقسيمها إلى أجزاء ؟ (تمام) ؛ ماهي هذه المراحل ؟ وما هي أهداف كل مرحلة منها ؟ وما هو سقفها الزمني أو الموضوعي ؟ يجب المعرفة من الآن حتى لا تختلط الأفهام ، وتطيش السهام ، عند اللقاء والالتحام .

٤. **التفاهم على المسارات الكلية المطلوب سلوكها** :

كما يجب توحيد الفهم حول المسارات الكلية التي سيسلكها الفاعلون الحقيقيون في هذه المعركة ، ووزن كل مسار من هذه المسارات ودرجة أهميته وترتيبيه بين الأولويات العملية في هذه المعركة المصيرية ، هل أن الجهد الرئيسي في مسار هذه المعركة جهدٌ سياسي دبلوماسي يعري هذا المحتل ويفقده مصداقيته ، ويبعد عنه حلفاءه ؟ أم أن جهدها الرئيسي جهد خشنٌ تُراكم فيه القدرات القتالية ـ البشرية والمادية ـ وتخصص فيها القدرات المالية لتغطية نفقاته الكلية ؟ هل نحن متفقون على أنه يجب أن توظف جميع القدرات والإمكانيات خدمة لهذا النوع من الإجراءات ؟ أين يقع الجهد النفسي والحرب الناعمة بين كل هذه الجهود والمسارات ؟ وكيف تدار الحرب النفسية وتوجه ضد هذا المجتمع الذي ما يفرق بينه أكثر مما يجمع ؟ ماذا عمن يتحدثون عن استفتاء يُترك فيه لسكان فلسطين المحتلة عربهم ويهودهم حرية التصويت وفق آلية تصويت ـ One man, one vote ـ في اختيار طبيعة الحكم ومن يحكم ، ثم ينصاع الجميع لنتيجة الصناديق ؟ وأسئلة من هذا القبيل من الممكن ان نوجز فيها أو نطيل .

٥. **التفاهم على الأدوار الكلية المطلوب أداؤها** :

وهنا يجب من الآن التفاهم على دور ومهمة الفاعلين الرئيسيين في هذه الحرب ، وفي هذه المسارات المتعددة والمتنوعة ؟ يجب أن يوحد الفهم ويتفق على شكل نوع ووزن كل مسار قبل

انطلاق صافرة حركة هذا القطار ، وإلّا سيطول الانتظار ، يجب التفاهم على هذه الأدوار ؛ فصائلياً وشعبياً ، بحيث يتم تحديد المهام الفصائلية والشعبية ، ليتم على ضوء هذا الفهم المتابعة والإشراف ، وتحديد المسؤوليات ، واستخلاص العبر والدروس ، وسد الثغرات ، ورفع النواقص وتأمين المتطلبات ، وإلّا سيتقاذف الجميع جمر المسؤولية عند أي اخفاق أو قصور في الوصول إلى الأهداف ، وغلق الملفات .

٦. **التفاهم على ترتيب الأولويات وتخصيص القدرات** :

كما يجب تَقبل أن كل مشاركٍ من المشاركين الحقيقين والفاعلين في هذه المعركة لديه أيضاً خصوصيات وأولويات تخصه في ساحة عمله ، يجب رعايتها وعدم إغفالها تحت ذريعة أن هذه المعركة معركة مصيرية وأن لا صوت يعلو فوق صوتها ، حيث أن هذا الفهم والتفهم ، من الجميع وللجميع ، يعني المساعدة في ترتيب الأولويات ، وتنظيم السير والتحركات ، كما يساعد في وضع الضوابط والسياسات ، وغياب مثل هذا الفهم عن الأذهان يعني عدم القدرة على ترتيب الأولويات ، وتقديم الأهم على المهم ، كما يعني أننا من الممكن أن نفقد دعم حواضننا الشعبية التي تشكل الرافد الرئيسي والدعم الأهم في صوغ الاستراتيجية الكلية لمعركة " وحدة الساحات " ونقطة ارتكازها الأغلى التي ترتكز عليها ، كونها ـ الحواضن ـ ترى فينا جهات لا تراعي خصوصياتها ولا تتنبه إلى حاجاتها ومتطلباتها .

نختم هذه الورقة التي تعد مساهمة متواضعة في البحث الحقيقي عن تحويل فكرة " وحدة الساحات " إلى مجموعة من الخطط والإجراءات، نختمها ببعض التوصيات والتي من أهمها:

١. يجب التحول من طريقة التفكير الفردي والفصائلي لحل المشاكل ومواجهة الصعوبات ، إلى حالة من التفكير الجمعي الذي يتشارك فيه الجميع ، تفكيراً وتدبيراً واجتراحاً للحلول .
٢. بدء عمل اللقاءات وورش العمل التخصصية التي تحول الأهداف السياسية والغايات الكلية لمعركة " وحدة الساحات " إلى مهام تعبوية .
٣. بسط اهتمام الفاعلين الحقيقيين في هذه المعركة ليشمل بعضاً من اهتمامات شركائهم في ساحاتهم ، حتى تتم المواكبة الكلية ، ويسهل الفهم والتفهم عند اختلاف وجهات النظر أو تباين زوايا التقييم .
٤. سد الثغرات ، وتخصيص القدرات ، وترتيب الأولويات ، يجب أن يتم بناء على الأدوار والمهمات .

هذه بعض الأفكار التي نعتقد أنها بحاجة إلى نقاش أكثر عمقاً وتخصصاً، لتحويل الرؤى والأفكار، إلى إجراءات تبصرها الأنظار . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

عبد الله أمين

٢٠٢٣ ٠٣ 26